

# المشرق

## ما فقد في لبنان من قديم الحيوان

نظر للاب هنري لامنس السوري مدرس المفرازية الشرقية في المكتب الشرقي

قد لحظ العلماء الباحثون عن طبائع الحيوان في الشرق ان البلاد السورية غنيّة باصناف الحيوان بحيث ترى في القطر السوري مع قلة اتساعه من سبع اصناف الحيوان والمواشي والدواب ما تجده متفرقا في اقطار عديدة ومناطق من العلو مختلفة. وهذا لسوري من المشاهد النادرة التي لا تكاد ترى لها شبيها اللهم الا في المنطف الجنوبي من جبل حملايا اعظم جبال الهند بل اعظم اطواد المعمور. وانما نجد تعليلا لهذا الامر في موقع سورية وتركيبها الجغرافي فانك اذا استنيت غور نهر الشريعة الذي هو اسفل من سطح البحر المتوسط باربعماية متر ( وذلك امر فريد ليس لثله ثانيا في الارض ) ثم نظرت فقط الى هيئة لبنان تذكرت ما سبق لنا بيانه من ان هذا الجبل جامع لحواص بلدان شتى مقبانية كل تبأين ومن ثم يصلح لان يكون مأوى لمواليد الحيوان المختلفة

على ان غايتنا في هذه المقالة ان نتصّر على حيوان لبنان فقط وفي كثرة حيوانه ما يغنيننا عن ذكر بقية البلاد الشامية . لاسيا اذا اعتبرنا لبنان في ايامه القديمة اذ كانت ترين قمة غاباته الكثيفة قبل ان تقطع اشجاره وتسدل بالمزارع . فرائنا من ثم ان نبسط الكلام في قديم حيوان لبنان فنستقري الاصناف الحيوانية التي خلا منها الجبل مستدين في ذلك الى شواهد التاريخ الصادقة

\*

الاسد كبير السباع فلهُ السبق ربه نفتح كلابنا . لم ينكر احد وجوده في بلاد الشام وإنما ادعى المير ستايفر في كتابه المصنوع « فلسطين في زمن المسيح » (ص ٢٢٥) انه لم يبق له من اثر في اوائل تاريخ الميلاد . وكذلك الدكتور هـ . يروتس (H. Prutz) قد زعم ان روايات كتبة الفرنج في القرون الوسطى عن الأسود من الاساطير التي لا يوثق بها (١) ووافقته في هذا رأي الرحالة الشهير سينسن (Seetzen II, 228) فان اعتبرنا بلاد الشام اجمالاً عثنا على نصوص تثبت وجود الاسد فيها حتى في

اوائل القرن السابق (٢) بل لا يُستبعد وجوده حتى اليوم في بادية تدمر (٣)

أما لبنان الذي يهتئنا الآن اعتباره فان الشواهد على وجود الاسد فيه عديدة على اختلاف اطوار تاريخه . لا بل قد وجدت آثاره قبل طور التاريخ في بقايا اسود كانت تأتي الى الكهف (٤) ومن شواهد الازمان التاريخية ما ورد ذكره في سفر نشيد الاناشيد حيث أشير الى أسد لبنان عموماً وحرمون خصوصاً قال (٨:٤) : « انظري من رأس امانة من رأس سنير وحرمون من مرابض الاسود من جبال النور » وحيثما جاء في الكتابات الهيروغليفية قبل ذلك العهد ذكر « لناا » وهو جبل لبنان فان كاتبها يمثله كجبل ذي احراج متكاثفة لم تُتمن بالقطع تتجول فيها الضباع والديسة والاسود . وكان الفراغ اذا خرجوا الى مصاد سباع البهائم والاسد تصدوا لبنان او لحفه في سهول البقاع او سهول حمص ووادي العاصي حيث كانوا يتصيدون الفيلة كما سترى

وكذلك ملوك بابل واشور فانهم بعد الفراغ بقرن كانوا يحاولون قنص الاسود في لبنان . لنا على ذلك دليل محسوس في نصب اكتشفناه قبل بضع سنوت جنوب غربي حمص على مسافة نحو عشر ساعات منها في سلسلة جبال متفرعة من لبنان يفصل بينها وادي خالد واسم الجبل اكرم . والنصب في وادٍ خرج حيث يسيل جدول ماء يُدعى

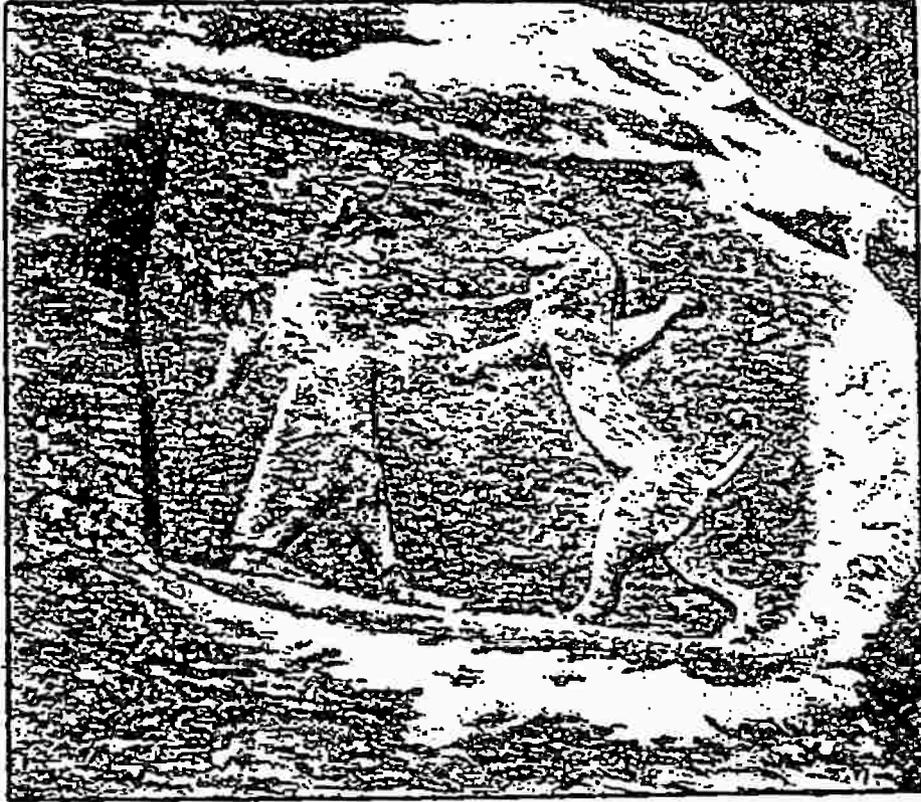
(١) راجع كتابه Kulturgeschichte der Kreuzzüge, p. 332

(٢) راجع الكتاب The City and the Land, 8 - وكذلك ورد في كتاب الصبح الاعشى للتقشدي ان الاسد كان موجوداً في القطر الشامي في عهد المؤلف اي في اوائل القرن الخامس عشر (راجع النسخة المخطوطة التي في خزانة كتبتا الشرقية ص ١١٢٢)

(٣) راجع مجلة الملمين Revue des 2 mondes, 11 Juillet 1897, p. 403

(٤) راجع كتاب الاب زيمون البيروي (Esquisse géolog. du Liban, p. 65)

نهر السبع شكله مربع تقريباً يبلغ قياس كل جانب من جوانبه مترين ونصف ترى فيه صورة اسد يصارعه رجل ( انظر الصورة ) والمصارع منتمية حافي الرجلين تراه يتبض يد شديدة فك الأسد الراسع المفتر بينما هذا ينصب قائمته لهجم عليه . وصورة الرجل مهتمة ولا يرى السلاح الذي كان في يده والمرجح انه كان يحكمه باليمنى ومع خلو هذا الاثر من كتابة لا شك في انه من مآثر الاشوريين (١)



صورة نصب اكروم

وقد اكتشف ليس بعيداً من هذا النصب اثر آخر يبين مناهُ والواقف عليه

(١) راجع كتابنا الذي عنوانه 'Notes épigraph. et topogr. sur l'Emésène, p. 49 etc. وللاب س. رترقال بحث في هذا الاثر المائل نشره في المجلة الكتابية (R. B. 1903), p (600-604)

هو السير يونيون قنصل فرنسة سابقاً في حلب وجده منذ نحو عشرين سنة في وادي بريسة على مسافة نحو ساعتين من الهرمل في شمالها اعني في وسط لبنان . وهذا الاثر عبارة عن صفيحتين نصيها ملك بابل نبوكدنصر الثاني وعليها كتابات مسارية وضمن احدي هاتين الصفيحتين صورة كصورة نصب جبل اكروم فيها صراع رجل واسد . وليس الرجل سوى ملك اشور بيئيه كما يلوح من مضمون الكتابة . وذلك ان نبوكدنصر سكن برهة من الدهر في دبة وهي قريبة من الهرمل ومن جبل اكروم فلا عجب ان تكون الآثار المكتشفة في تلك الجهات بمثابة لبعض وقائع الصيد التي تولها الملك الاشوري على مقربة من مقام عكروم . وهذا دليل باهر على وجود الاسد في لبنان في القرن السادس قبل المسيح

وان تتبعنا سياق الاجيال من بعد نبوكدنصر لا نجد شواهد واضحة على صدق مقالنا والسبب ان اكلية اليونان والرومان لم يوردوا عن لبنان الا التذلل القليل فلا غرر ان سكوا عن مثل هذه الحقائق . ولا يتصننا مع هذا بعض الدلائل المشيرة اليها . فن ذلك اسم « اللبوة » وهي قرية شمالي بعلبك على مسافة اربع ساعات منها واسمها القديم كما في العربية ليوا (Liboa) يشبه اسم قرية بيت لبوت (بيت لبوت) في فلسطين (١) واهيك هذا الاسم شاهداً على وجود الاسد في تلك الجهات عند سفح لبنان . ومثل هذا اسم مدينة ليونتوبوليس (Léontopolis) اي مدينة الاسود واسم نهر الاسد (Λέοντος ποταμός) وكلاهما على سواحل لبنان وان لم يتبين العلماء بضبط نقطة موقعهما . ولا بأس اذا قيل بان في اسمها دليلاً على وجود الاسد بجوارها في لبنان وزد على ذلك نصوماً وردت في كتاب فتح البلدان (ص ١٦٧) للبلاذري تنبي بوجود الاسد قريباً من انطاكية . وكذلك جاء في كتاب الاعتبار ان اسامة بن منقذ كان يصيد الاسود في نواحي شيزر . ومن غريب الشواهد ما اثبتته رهبان الهيكيل في قانوتهم انه لا يجوز لهم الخروج الى الصيد ما خلا الاسود . وكان هؤلاء الرهبان كما هو معلوم مراكر عديدة في لبنان (٢)

وما لا يترك شبهة في الامر خبر رواه صالح بن يحيى في كتابه تاريخ بيروت عن

(١) راجع ميجم الكتاب المقدم في باب الاسد

(٢) راجع G Schnürter: Die ursprüngliche Templeregul, p. 146, n° 46

بعض امراء العرب في القرن الرابع عشر للميلاد في قرية نمرود الداعلة اليوم في  
مديرية الغرب الاقصى من عمل الشوف . قال ما حرفه (ص ١١٣ من طبعتنا) .

« ومن حملة مكابدم معه (١) ان اقدم رأى اسداً قد تطرّق الى بعض الاماكن القريبة  
فحضر عند زين الدين بن علي وقال له ان دبا تجاوز للسكان العلاني (سريد مكان الاسد . وكان  
توجيهه بالذب عن الاسد غروراً بزین الدين وطعماً ان يحدث له الاسد حادثاً) فتوجهه روى الدين  
إيلاً الى المكان الذي قيل له عنه ولم يصحب معه احدًا و... قوته فكسر هناك فلما مر به الاسد  
علم انه متروك بالقول الذي قيل له ورمى الاسد بسهم واحد متمداً على بيت القلب فأت الاسد  
منه . وعاد زين الدين الى منزله وعند الصبح ارسل الى من اخبره انه دب يقول له : اذهب  
واثر بالذب الذي قلت عنه فانه مقتول بالمكان الذي ذكرته . قال ذلك سبكاً »

وهذه بيته واضحة تدل على وجود الاسود في جهات الغرب في القرن الرابع عشر  
وعلى الاقل بعض الافراد منها . وانما توارت اللبوث بتقطع الاحراج من الجبل وانتشار  
زرع التوت لصناعة الحرير

اما الاسد السوري فكان جنسه قائماً بذاته وكان اصغر قامة من اسد افريقية  
واضع منه قوة وكانت ليدته صهباء يحاطها شعر ارمي (٢) وهو كالتنوع الفارسي  
(leo persicus)

\*

قال حضرة الاب زمرفن (٣) : « ليس لفيقية انهار وسهول كافية لمراعي كيار  
الحيوان ذوي الجلد الغليظ (pachydermes) ومن ثم لا يُنتظر وجود هياكل حيوانات  
خرطومية قديمة » . لكن الكاتب عينه قد اردف هذه الاسطر بقوله انه وجدت في  
الكهوف السابقة لطور التاريخ في لبنان بقايا عديدة من هياكل الكركدن (rhino-  
céros) الذي يجانس نوعاً اخر قديماً يدعى تيكورينوس (tichorhinus) كان يرافق  
جبار الحيوانات المعروف بالثوث »

وفي مقالاتنا السابقة عن مياه لبنان (راجع تسيح الابصار ج ٢ ص ١٢٣

(١) يريد نبي ابي الحيش المادين لزين الدين بن علي

(٢) طالع Nowack : Hebräische Archeologic, 78; Dictionnaire de la Bible.

art. Lion

(٣) راجع كتابه Esquisse géologique, 65

و١٢٥ و١٢٨) اثبتنا بعض الدلائل التي يمكن ان يستدل بها على وفرة المياه سابقاً في عيون لبنان وانهارها. وكان يتج عن هذه المياه انجرة تساعد على نمو المزارع وخصب المراعي التي تحتاج اليها هذه الحيوانات لاسباب معاشها

ووجود النيل في لبنان امر ليس تحت ريب تقرر صحته الدروس الشرقية. روى السير سپرو في تاريخ الشعوب الشرقية القديمة (ك ٢ ص ٢٦٥) ان الفرعون نخوتس الثالث لما عاد ظافراً من ضفة الفرات تول في في (Nii) التي نزلها اقامية الموافقة لقعة الضيق حيث تستقع مياه العاصي في سهول واسعة كثيرة الادغال كثيفة الاعشاب. وكان هناك فيلة عديدة فاراد الفرعون ان يلتهي بصيدها فوكل الى جترده بان يجدها بالسهل لئلا تفلت الفيلة من الصيد فكان عدد التلى ١٢٠ فيلاً قتل عاجها الى مصر (١) فكفى بهذا العدد دليلاً على وفرة ذوي الحظوم في سورية

ثم ان في الآثار الاشورية ما يزيد على هذا دليلاً. قيل ان العاج كان من جملة الجزية التي اداها للملك نينوى اصل بيت عدويني وباطناي وهو يوصف كحجر بلدي. اما موقع هذين البلدين فانه كان في شمالي سورية في ما يوافق حالياً ولاية حلب. وكذلك يتفخر الملكان الاشوريان تغلات فلاسر الاول واشور تسيال بانهما قتلا في تلك الجهات عدداً عديداً من الفيلة واسرا منها بعضها فتقلاها الى حاضرة ملكهما.

وكل ذلك دليل لامع على وجود الفيلة مهلة وحشية في بلاد سورية (٢) اما داخل لبنان فليس لدينا شهادة جلية على كيان الفيلة في اللهم الا بعض الاسماء كسن النيل لقوية بجوار بيروت وخرطوم لضية في بلاد الشيف لكن اشتقاق هذين الاسمين يمكن شرحه على غير طريقة. وعلى كل حال لما كان وادي «ني» ايامية السابق ذكره ملاصقاً للبنان يمكن القول بان فيلته كانت تصعد الى راس العاصي في البقاع. فانه معلوم ان النيل الوحشي يقطع المسافات البعيدة اتجاهاً للمراعي. وكانت حالة بلاد البقاع في ذلك العصر كحالة بلاد اقامية. وكانت السهول المترطبة بين لبنان والجليل الشرقي يتغلب عليها البحيرات والمستقعات وتكثر فيها المروج الحدية.

(١) راجع ايضاً تاريخ سپرو في الصفحة ١٧ ومجمع الكتاب المقدس في مادة «نيل»

(٢) راجع كتاب -ضرة الاب دبلانز البيروني L'Asie occidentale dans les inscriptions assyriennes, 25, 74

ولاشك ان بعض هذه الحيوانات كانت تتردد الى جهات بحيرة حمص وبيروت العاصي  
العينة قريباً من هرمل فكانت تتروغل في الغابات الكثيفة النامية في منحطف لبنان  
الشرقي لاسيما عندما اخذ عدد السكان ينمو في وادي العاصي فاضطرت الفيلة ان تهرب  
وتطلب لها مآوي هادية امسية

اماً منحطف لبنان الغربي فلتتوفر سكب كانت احواله قليلة المناسبة لعاش هذه  
الحيوانات الحجة للغزلة الأ في القرون انمايرة قبل منشأ المدن المينيتية الكبرى كطرابلس  
وبيروت وصيداء اذ كانت السواحل مقاماً لبعض أكواخ الصيادين . فلا بأس ان يقال  
ان الفيلة كانت تطوف وتقتد غابات لبنان الساحلية قريباً من الاسود والديبة وان  
بعضاً منها قدمت من وادي العاصي فبعت وادي نهر الكبير وجاءت ترعى عند شواطئ  
البحر وتمرح في نهر ادونيس وفي نهر يدوت والدمرد اذ كانت مياه هذه الانهار اوفر  
منها في عهدنا تتدفق في السيول القريبة من مصبها وتخصبها بمستنقعاتها . بيد ان نمو  
السكان لم يلبث ان يلجئها الى الهرب من وجه الانسان طلباً للامكنة المقفرة في شمالي  
سرورية او بلادها المتوسطة .

ثم زادت عليها الخاطر في تلك الاقار ايضاً كما رأيت في ذكر صيد نحوتمس الثالث  
ومنهُ يستتج ان الفيلة توارت بزمن قليل وباد جنسها في بلاد الشام . واذا تصمخنا  
تاريخ ملوك اسرائيل في عهد سايلان لم نجد ذكراً للفيلة الوحشية . ولعلها كانت  
تناهت الى جهات الشمال حتى بلغت وادي الفرات وسراعه . وهناك كان يصيدها  
ملوك اشور اذا ارادوا صيد الفيلة كما أولعوا بصيد اسود لبنان وفقاً للشواهد الواردة في  
انصاب وادي نهر السبع ووادي برساً

ومأ وجد ايضاً في لبنان من الوحوش المقودة البقر الوحشي (aurochs) تصيده  
الملك الاشوري تغلات فلاسر الأول في القرن السابع لمهد داود (١) كما ورد في  
انكابات الممارية . ووجوده في لبنان مقروء ثابت . لانه لا احد ينكر وجوده  
في بقية جهات سرورية وعيشته بين احراج لبنان انصب لطباعه (له بقية)